"متحرّكين" - مساحة فلسطينية

خليل غرّة *

يقف وراء مجموعة "متحرّكين" شُبّان وشابّات من مختلف أماكن التواجد الفلسطينيّ في الوطن والشتات. تسعى المجموعة لإحداث التغيير على المستوى السياسيّ والاجتماعيّ في فلسطين، متخطيةً الصّورة النّمطية التي عززتها حالة العزلة وفرضتها سياسات الاحتلال علينا كشعبٍ واحد، وتهدف أيضًا إلى كسر الهُويّات الفرعية المناطقية الناتجة عن التقسيمات الاستعمارية. إحدى أهم أدوات متحركين هو التواصل الفلسطيني- الفلسطيني الذي تعتبره المجموعة وسيلةً لا هدفاً، ليصبّ ذلك كلّه في محاولة لتعزيز وبناء الهُوية الوطنيّة الفلسطينيّة الجمعيّة.

إضافة إلى ذلك، القضية المركزية التي تعمل المجموعةُ على وضعها على الطّاولة هي واقع الفلسطينيين المسلوب فيه حقّهم السّياسي والإنساني في حرية الحركة والتنقل، والذي تحوّل فيه حيّزُهم المسحوق والضيّق كنقطة انطلاق لشرذمة الهُويّة الجمعية. ينتهك الاحتلال حقّ الفلسطينيين في حرية الحركة والتنقل، ويتجلى ذلك في عدة وسائل، منها: جدار الضمّ والتوسع، والحواجز في قلب الضّفّة، والقانون الذي يُجرّم علاقة فلسطينيّي الـ 48 بالضفة والوطن العربي، وأيضًا سحب الإقامات الإسرائيلية من المقدسيين.

بدأت فكرة "متحرّكين" (في تشرين الثاني 2013) عندما بادرت جمعية الشباب العرب "بلدنا" في الداخل الفلسطيني، ومؤسسة "الرؤيا" الفلسطينية في الضفة الغربية والقدس، وهيئة "خدمات الأصدقاء" الأمريكية – (الكوكيرز) في غزة، وشبكة السياسات الفلسطينية لوضع برنامج يضم 60 شابًّا وشابّة من

مختلف أماكن التواجد الفلسطيني في فلسطين التاريخية تحت عنوان: "شباب من أجل التغيير". نتج عن هذا المشروع مجموعة من الشبّان والشابّات وضعت على سلّم أولوياتها معالجة قضية انتهاك الحقّ في حرية الحركة والتنقل؛ وهي قضية تمسّ أبناء الشّعب الفلسطينيّ كافة، ولا ينحصر تأثيرها في مجموعة بعينها. وقع الخيار على العمل على الموضوع، واضعين أحد أهدافنا تسليط الضوء عليه وإبراز تأثيره على الهُويّة الوطنية الفلسطينية الجمعية، ومن هنا جاء اسم المجموعة "متحرّكين"، في إشارة إلى أننا متحركون من أجل حرية تنقلنا، متحركون من أجل بناء الهُويّة، متحركون من أجل فلسطين. ونحن متحركون أيضًا كون المؤسسات الشريكة في البرنامج لا تملي على الفريق أية شروط أو وجهة سياسية أو توجه اجتماعي، ولا علاقة لهم بإقرار المضامين، فللمؤسسات دور حيوي في بلورة المجموعة وتتماشى سياساتها وطرحها مع المشاركين.

وتنشط "متحرّكين" حاليًّا من خلال كتابة الأوراق السياساتيّة حول موضوع الهُويّة الجمعيّة وانتهاك الحقّ في حرية الحركة والتّنقل، وتُسلِّط الضّوءَ على الحواجز المنتشرة في الضّفة وجدار الضمّ والتوسع، والداخل بعلاقاته بالمحيط، وتُعرِّف بالتقسيمات وبطاقات الهُويّة والجنسيّة التي يحملها الفلسطينيون أينما وُجدوا، وكيفيّة انتهاك إسرائيل الحقّ الإنساني والسّياسي في الحركة والتنقل، لتقديمها لاحقًا إلى جمهور هدف معين، منها المؤسسات الوطنية الفلسطينية والأُطُر الدولية ذات الشأن. من جهة أخرى، تنشط المجموعة من خلال بناء حملات إعلانية وإعلامية تعريفية توعوية بخصوص فكرة "متحرّكين" ومضامينها، وأهدافها وبرامجها المستقبلية. تسعى المجموعة لبناء حملة مناصرة شعبية ومرافعة دولية بخصوص القضية والفكرة من وراء "متحرّكين".

لم يكن بناء "متحركين" سهلًا كما هو مطروحٌ هنا؛ فقد واجهنا وما زلنا نواجه -كشباب في "متحركين"- مطبات وعراقيل كثيرة. فالأولويات ليست هي ذاتها، والأفكار ليست متقاربة، والهموم والمسؤوليات مختلفة بيننا كشباب من مختلف مناطق الوجود الفلسطيني. وعلى الرغم من كوننا شعبًا واحدًا، فإننا

في الواقع أربعة كيانات سياسية واجتماعية لكل منها خاصّيّات وأهداف وطموحات ومتطلبات وبرامج غير متشابهة على مستوى المطلب اليوميّ -مثلًا.

اختلاف المشارب الفكرية التي ينتمي إليها أعضاء وعضوات المجموعة تشكّل تحدّيًا إضافيًّا في عمل المجموعة، تمامًا كما تشكل تحدّيًا ومعيقًا في العمل السياسي الوطني الفلسطيني العام. فعلى سبيل المثال، يختلف الأعضاء حول أحداث عامة وجدوى وسائل النضال؛ فهناك من يرى التظاهر وسيلة قوية أمام السلطة، وهناك من يراها خطرًا على مستقبله وعمله الفردي. ولاحظنا -من خلال تبادل الآراء والحوارات- أن هناك فجوات فكرية بين المشارِكين والمشارِكات؛ وهذا يشكل تحديًا من ناحية، ولكنه أيضًا يُغْني نقاشات المجموعة ويجعل من هذه النقاشات والاختلافات أبوابًا للإبداع ولتطوير آليّات نقاش ومقاومة -وهذا أمر طبيعي-. تحاول المجموعة أن تمثّل المشارب الفكرية السياسيّة المتنوعة في المجتمعات الفلسطينية. وعلى الرغم من أن أعضاء المجموعة ليسوا ممثلين عن أحزاب أو حراكات أو فصائل فلسطينية، ما زال أمامنا تحدٍّ لضمّ أكبر عدد من الشباب من المشارب الفكرية والسياسية كافة، وعلى وجه التحديد من الإسلاميين، لتكون المجموعة صورة تعكس الشارع وغير بعيدة عن الواقع.

وقد كانت الصور النمطية التي نحملها -بوصفنا أفرادًا قادمين من كينونة سياسيّة واجتماعية مختلفة من الشعب الفلسطيني عن أجزاء أخرى من أبناء شعبنا- كانت أحد المعيقات الجدّيّة التي ساهمت في عرقلة سير عمل المجموعة في البدايات. بالرغم من هذا، كان التواصل المباشر واللقاءات الشخصية والمجموعاتية كفيلاً بتخطّيها إلى حد بعيد. ومع الوقت، ومن خلال اندماجنا واختلاطنا وتواصلنا كمجموعة شبابية، أصبحنا نتفاهم ونتفق وننسق ونخطط معًا بأقل ما يمكن من العراقيل والمطبات. وقد تطورت علاقاتنا لتقتحم أنفسنا وتحملها خارج جدار المشروع وتصبح علاقات صداقة وودّ. لقد شكّلت مجموعة "متحرّكين" فرصة نادرة للقاء شبّان وشابّات من مناطق مختلفة لوجود الشعب الفلسطيني، وقد تكون للبعض فرصة أولى من نوعها للتعرف على فلان/ة من دير البلح، أو من الأغوار الفلسطينية في الضفة، أو من نحف في الجليل؛ فهؤلاء جميعهم أتوا من "بيئات" مختلفة لا تعلم كلّ

منها الكثير عن غيرها. رغم هذا، لم يكن التعامل مع هذا الموضوع بالسهل؛ ففي بعض الأحيان كان يجري التعامل مع هذا التواصل على أنه قصة تواصل ونجاح بين شعبين متنازعين ومتصارعين. تعمدّت مجموعة "متحرّكين" تغييب الانتماءات الحزبية /الفصائلية والمناطقية الضيقة، ولم تكن ثمّة أي محاولة لشد المجموعة إلى طرف معين، أو إقحام توجه أو فكرة انبثقت عن حزب أو فصيل، مما سهّل علينا –نحن أفراد المجموعة- العمل ضمن إطار وحدوي جامع لنا كفلسطينيين. شعار "الشعب الواحد" في طريقه إلى الممارسة. سعت المجموعة للتشديد على الهدف الوحدوي بكل طريقة ممكنة. فعلى سبيل المثال، خلال المقابلات التي أجريت مع أعضاء مجموعة "متحرّكين" في الضفة وغزة والداخل، حرصت "متحرّكين" أن تفرض على الإعلام المستضيف أن يكون في اللقاء ثلاثة أشخاص من جميع المناطق، لنؤكد أننا شعب واحد، ولنثبت للإعلام أنه ليس إعلامًا محلّيًّا مناطقيًّا -ونجحنا في ذلك.

ترى مجموعة "متحرّكين" وتطمح أن يكون لها تأثير كبير على الرأي العام الفلسطيني، وذلك بإقحامها فكرة الهُويّة الجمعية، ووضع فعّاليّات التواصل في الخانة الصحيحة (الآليّات). والقصد ألاّ يصبح التواصل هو الهدف؛ الهدف هو بناء المجتمع والهُويّة. لا يمكنني الجزم، لكن "متحركين" يمكن تصنيفها على أنّها من أوائل المجموعات التي عملت بروح فلسطينية جماعية على قضية وطنية سياسية وإنسانية. فموضوع انتهاك الحقّ في حرية الحركة له إسقاطات على قطاع التعليم والصّحة والخدمات الاجتماعية، وعلى بناء الهُويّة الوطنية بالطبع، ومن خلال العمل على كل قضية فرعية هناك ممارسة لبناء الهُويّة على نحوٍ غير مدرك للبناء، وكتحصيل حاصل سوف يكون هناك تشبيك وتنسيق بين عدة مؤسسات وجمعيات فلسطينية -أو حراكات شبابية مثلًا-؛ وهو ما يكسر الحواجز الإسمنتية والمعنوية.

تؤمن مجموعة "متحرّكين" أنه في ظل كل الانتهاكات والتصعيدات التي يمارسها الاحتلال، علينا أن نقف ونتصرف كشعب واحد، ونحاول إعادة تعريف هُويّتنا الوطنية الجمعية؛ لذا فهي ترى أنه من واجبنا أن نتواصل في ما بيننا بشتى الطرق، وأن نتعامل مع التواصل كوسيلة لتحقيق ما هو أكبر، لكسر الحواجز الجغرافية والنفسية وتعزيز تماسكنا كشعب. تتحدى "متحرّكين" الصعوبات التي قد تواجه أي

عمل وحدوي فلسطيني، وفقدان الهُويّة الوطنية الجمعية، وانتهاك الحقّ في حرية الحركة والتنقل والتواصل. ولكن من خلال تجربتنا، نحاول أن نقف إزاء الشَّرذمة، ونحاول بدل الغرق في العمل وتفاصيله المحلية والمناطقية والقضايا والتفاصيل الفرعية الصغيرة، نحاول مواجهة صفعة الحاجز والهوّة بين المبادرين والعمل على أساس وطني مشترك متلاحم.

* **خليل غرّة**، طالب لقب أول في الفلسفة والعلوم السياسية في الجامعة العبرية في القدس، ناشط سياسيّ واجتماعيّ وعضو في "متحركين"، القدس المحتلة - فلسطين.